OPEN ACCESS
MA'ARIF-E-ISLAMI (AIOU)
ISSN (Print): 1992-8556
ISSN (Online): 2664-0171
https://mei.aiou.edu.pk

دراسة دلالية للتعجب في ضوء سورة البقرة

(Semantic Study of Wonder in the Light of Surat-ul-Baqarah)

الدكتورة شبانة نذر

الأستاذة المساعدة، بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، بهاولبور.

عرفان قيصر

الباحث بمرحلة الدكتوراة، كليه الدراسات الإسلامية، نمل، إسلام آباد

Abstract

Praise be to God who revealed the Book to his servant and did not make a valuable crook for him to warn of grave misfortune and preach to the believers who do good deeds that they have a good reward, and He revealed it as a guide to people in the darkness of this life, and a light that shines for them the way to the remaining home, and blessings and peace be upon our Prophet Muhammad, his family, companions and those He followed them with kindness. As for after.

This is a scientific article on the topic of "Wonder in the Light of Surat Al-Baqarah" and the importance of this topic to achieve the purpose of this Surah while contemplating it and guiding what it contains. This is because contemplation is only after understanding the meanings and the purpose of each surah is the origin of its meanings which it refers.

Keywords: *Wonder, Surat Al-Baqarah, Prophet Muhammad, Misfortune.*

المدخل

إن الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ، وأنزله هداية للناس في ظلمات هذه الحياة، ونبراساً يضيء لهم الطريق إلى الدار الباقية ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. أما بعد :

هذه مقالة علمية موضوعها "دراسة دلالية للتعجب في ضوء سورة البقرة" وأهمية هذا الموضوع تكن لى وسيلة لتحقيق المقصد من إنزال هذه السورة كله, هو تدبره والاهتداء بما تضمنه؛ و التدبر لا يمكنه إلا بعد فهم المعاني، ومقصد كل سورة هو أصل معانيها الذي ترجع إليه.

أهمية الموضوع

1) أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ،كما قال تعالى : { وانه لتنزيل رب العالمين ،نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين }[1]. والتعجب أحد الأساليب العربية التي تكررت كثيرا في القرآن الكريم ؛ وهذا دال على أهمية أسلوب التعجب ، وأثره في تحقيق مراد الله تعالى من عباده .

2) أن التعجب في صيغته ودلالاته وأساليبه ومقاصده له أثر في الفهم والتدبر ، وتحقيق الاعتبار والتفكر .

3) اختلاف أنظار المفسرين في دلالة الآي على التعجب ومقصده؛ كان باعثا على دراسة هذه الآيات والخلوص إلى نتيجة تقرب هذه الأقوال إلى الرجحان بدلالة القرائن المعتبرة عند المفسرين .

تعارف سورة البقرة

اسمها : سورة البقرة ، لأن كلمة " البقرة" مذكورة في السورة . وقال الحافظ برهان الدين البقاعي : تسمى : السنام ، الذُّروَة ، والزهراء ، والفسطاط .[2]

سبب نزولها وتاريخها

هي مدنية إجماعاً .

وقد ذكر الحافظ برهان الدين البقاعي في كتابه " مصاعد النظر ... " : قال النجم النسفي : ونزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[3] وهي آخر آية نزلت. وقال الشمس الأصفهاني : قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : هذه أول سورة نزلت بالمدينة، ونزلت في مُدَدٍ شتى .[4]

عدد آياتها : عدد آيها مائتان وثمانون و ست كوفي ، وسبع بصري ، وخمس فيما عداهما .

اختلافها: إحدى عشرة آية . انفرد الكوفي بعد ﴿الم﴾[5] ، والشامي بعد ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[6] ، والبصري بعد﴿إِلَّا خَائِفِينَ﴾[7] ، ﴿قولاً معروفاً ﴾[8] ، والمدني الأول بعد ﴿ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[9] ، والمدني الأول والمكي بعد ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[10] .والكوفي والشامي والمدني الأخير بعدِ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[11] .والمدني الأخير والبصري والمكي بعدِ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[12].وأسقط الشامي ﴿ مُصْلِحُونَ﴾[13] ، والمدني الأول ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[14] والمدني الأخير (في الآخرة من خلاق)[15].[16]

مقاصدها : المقصود من هذه السورة : إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليُتَّبَع في كل حال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه: الإيمان بالآخرة، ومداره: الإيمان بالبعث، الذي أعربت عنه قصة البقرة، التي مدارها الإيمان بالغيب، فلذلك سميت بها السورة، وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه السلام، لأنه في نوع البشر، ومما تقدم في قصة بني إسرائيل من الإحياء بعد الإماتة بالصعق، وكذا ما شاكلها. لأن الإحياء في قصة البقرة عن سبب ضعيف في الظاهر، بمباشرة من كان من آحاد الناس. فهي أدل على القدرة، ولا سيما وقد اتْبعتْ بوصف القلوب والحجارة، بما عم المهتدين بالكتاب والضالين، فوصفها بالقسوة الموجبة للشقوة، ووصف الحجارة بالخشية الناشئة في الجملة عن التقوى المانحة للمدد المتعدي نفعه إلى عباد الله.[17]

فضائلها : روى مالك في الموطأ، أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها.[18] أي يتعلم فرائضها وأحكامها، مع حفظه لها.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: يا رسول الله، إنَّا نقرأ من القرآن فنرجو. ونقرأ فنكاد أن نيأس – أو كما قال – فقال: ألا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار؟. قالوا: بلى يا رسول الله قال: ﴿الم، ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[19] ، إلى قوله (الْمُفْلِحُونَ) هؤلاء أهل الجنة، قالوا: إنا نرجو أن نكون من هؤلاء، ثم قال: (إن الذين كفروا سواء عليهم – إلى قوله: عظيم)[20] ، هؤلاء أهل النار، قالوا: لسنا هم يا رسول الله، قال: أجل.

وروى الترمذي في جامعه، وابن حبان في صحيحه من طريقه، عن سهل بن سعد رضي الله عنه، والدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته ليلا، لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ومن قرأها نهاراً، لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام.[21]

تعريف التعجب (لغة واصطلاحاً)

التعجب في اللغة :1 – التعجب هو : "حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشئ ..، والعجب ما لا يعرف سببه " ويقال لما لم يعهد مثله : عجيب [22].

2 – ويراد بالعجب فقال : " النظر إلى شئ غير مألوف ولا معتاد "[23] مما يجعل الإنسان ينكر ذلك لقلة اعتياده[24]

3 – والعجب : " روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشئ "[25].

4 – والعجاب : الذي جاوز حد العجب ، مثل طويل وطوال " [26] .

5 – والاستعجاب من الشئ : هو شدة التعجب[27] .

التعجب في الاصطلاح : قال الجرجاني : " تغير النفس بما خفي سببه ، خرج عن العادة مثله "[28] . وقد عبر المفسرون بعبارات متقاربة ، منها :

1 – قال الزمخشري : " ومعنى التعجب : تعظيم الأمر في قلوب السامعين ، لأن التعجب لا يكون إلا من شئ خارج عن نظائره وأشكاله "[29] .

2 – قال البغوي : " العجب : حالة تعتري الإنسان من رؤية شئ على خلاف العادة "[30] .

3 – قال القرطبي : " تغير النفس بما تخفي أسبابه "[31].

4 – قال الطاهر بن عاشور :" والعجب : مصدر عجب ، إذا عد الشئ خارجا عن المألوف نادر الحصول "[32]

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي : إن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة جدا ، بحيث لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر ، فالتعجب في اللغة هو استغراب شئ ما ، والتعجب في الاصطلاح هو ظهور ذلك الاستغراب على جوارح الإنسان .

ما هو الباعث على التعجب ؟

1 – تعظيم الشئ وخروجه عن نظائره : كما جاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل "[33].

قال ابن الأثير في معنى الحديث : " أي : عظم ذلك عنده ، وكبر عليه ...، وقيل عجب ربك أي : رضي وأثاب ..، والأول أوجه " [34]، وعليه يحمل قوله تعالى : { بل عجبت ويسخرون }[35] على قراءة من ضم التاء من القراء .

2 – غرابة الشئ وقلة دورانه[36] .

الدلالة الصريحة على التعجب

التعجب بمعنى (العجب) : يأتي التعجب في سورة البقرة بمعنى الاستغراب ،كما أنه يطلق على حسن المنظر (العجب) فيقال : أعجبني كذا ، أي : راق لي كذا[37] .

قال الراغب الأصفهاني بعد تعريفه للتعجب : " ويستعار مرة راقني فيقال : أعجبني كذا أي : راقني . قال الله تعالى : { ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام }[38].وقال تعالى : { قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ } , أي : تعجب الناظرين"[39] .

الدلالة المقاربة للتعجب

جرى القرآن الكريم على أساليب العرب في كلامهم ومخاطبائهم ، ومن ذلك : أن الله ذكر في كتابه أسلوب التعجب من غير لفظه ، وهي المعنون لها بـ "الدلالة المقاربة " ، وتشمل هذه الدلالة في سورة البقرة ما يلي :

1– دلالة الحروف على التعجب : وذلك مثل حروف الاستفهام .

2– دلالة الأسماء على التعجب : وذلك مثل لفظ الشك .

3 – دلالة الأفعال على التعجب : وذلك مثل الضحك وصك الوجه .

الحروف المراد منها التعجب: الهمزة : وهي للاستفهام ، وتدخل على الإثبات فتفيد معنى التعجب [40].

وقد جاءت للتعجب في مواضع من كتاب الله تعالى ،كقوله : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }.

قال الزمخشري في بيان الهمزة : " الهمزة للإنكار والتوبيخ أو للتعجب من حالهم "[41] .

وفي قوله تعالى : { قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ } .

قال الطاهر بن عاشور : " واقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجب فالتوبيخ "[42] .كما جاءت الهمزة داخلة على الإثبات لتعطي معنى التعجب وذلك كقوله تعالى : { أرءيت الذي يكذب بالدين } .

قال أبو السعود : " تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها ، وإيذان بأنها من الشناعة والغرابة ، بحيث يجب أن يراها كل من يتأتي منه الرؤية ويقضي منها العجب "[43] . قال الطاهر بن عاشور : " الاستفهام مستعمل في التعجيب من حال المكذبين بالجزاء ، وما أورثهم التكذيب من سوء الصنيع . فالتعجيب من تكذيبهم بالدين وما تفرع عليه من دع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين "[44] .

قال السيوطي : " إذا دخلت على رأيت – يعني الهمزة – امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب وصارت بمعنى : أخبرني "[45] . وكذا في قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ }

قال الرازي : " ألم تر فهي كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ، ولفظها لفظ الاستفهام".كما جاءت في قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ } .

قال الزمخشري: " ألم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين ، وتعجب من شأنهم. "[46]

قال الطاهر بن عاشور في بيان معنى الرؤية : " واعلم أن تركيب (ألم تر إلى كذا) إذا جاء فعل الرؤية فيه متعديا إلى ما ليس من شأن السامع أن يكون رآه ،كان كلاما مقصودا منه التحريض على علم ما عدي إليه فعل الرؤية ، وهذا مما اتفق عليه المفسرون ولذلك تكون همزة الاستفهام مستعملة في غير معنى الاستفهام بل في معنى مجازي أو كنائي من معاني الاستفهام غير الحقيقي ، وكان الخطاب به غالبا موجها إلى غير معين ، وربما كان المخاطب مفروضا متخيلا " .

كيف : اسم استفهام يسأل به عن الأحوال[47] ، وقد ترد على جهة الشرط كما في قوله تعالى : { ينفق كيف يشاء }[48] .

قال الله تعالى : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }

قال الفراء في معناها : هي " على وجه التعجب والتوبيخ ، لا على الاستفهام المحض ، أي :ويحكم كيف تكفرون ! [49]

وقال الزمخشري : " معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك : أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان ، وهو الإنكار والتعجب "[50]. قال القرطبي : " وكان سبيلها – أي كيف– أن تكون ساكنة ، لأن فيها معنى الاستفهام الذي معناه التعجب فأشبهت الحروف ،واختير لها الفتح لخفته ، أي هؤلاء ممن يجب أن يتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجة "[51] .

وكان سياق الذي أتت فيه (**كَيْفَ**) يدل على التعجب من الكفار ؛ لأنهم جحدوا وجود الله ، وعبدوا معه غيره ، وهو الذي خلقهم من العدم قبل أن يكونوا شيئا ، ثم أماتهم في الدنيا ، ثم هو يوم القيامة يبعثهم [52] فقد أخبر الله عنهم إماتتين ، وإحيائين " الإماتة الأولى هي كونهم نطفا وعلقا ومضغا ، والإماتة الثانية هي موتهم عند انقضاء آجالهم في الدنيا ، والإحياءة الأولى نفخ الروح فيهم وإخراجهم أحياء من بطون أمهاتهم ، والإحياءة الثانية بعثهم من

قبورهم أحياء يوم القيامة " [53] ، وكان الشرك بالله أحق من أن يتعجب منه،وأن يكون محلا للاستغراب؛لأنه مخالف لشكر النعم [54].

1- دلالة الأسماء جاء التعجب في سورة البقرة على أساليب متنوعة ، فقد جاء ذكر بعض الأسماء التي تدل على التعجب من غير لفظه ، وهي :

1 – سبحان : التسبيح هو : قال ابن عباس رضي الله عنه – : " تنزيه الله نفسه عن السوء " [55].

وهذه الكلمة تدل على التنزيه لله سبحانه ، وعلى التعجب من الشئ .

قال القرطبي : " من تعجب من شئ قال : سبحان " [56]كما أن العرب يقولون هذه الكلمة عند التعجب ، كما جاء في لسان العرب : " والعرب بقول سبحان من كذا إذا تعجبت منه " [57].وتساءل الزمخشري عن استعمال كلمة (**التسبيح**) في التعجب فقال : " ما معنى التعجب في كلمة التسبيح ؟ قلت : الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه " .

وقد جاء في سورة البقرة استعمال هذه الكلمة للتعجب، كما أخبر الله عن ملائكته حينما قالوا :{ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }. قال البغوي : " لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل ، بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه " [58].

التعجب المضاف إلى الأنبياء (عليهم السلام) :

جاء التعجب على لسان أنبياء الله سبحانه في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، وخاصة منها في سورة البقرة وكان سبب التعجب يختلف من نبي إلى آخر ، فموسى عليه السلام تعجب من قومه مرات عديدة ، يختلف سبب التعجب من مرة إلى أخرى ، وهكذا إبراهيم عليه السلام ، وزكريا عليه السلام ، ومريم عليها السلام .

التعجب المضاف إلى موسى(عليه السلام):

حكى الله لنا في كتابه الكريم قصص كليمة موسى عليه السلام مع قومه ، وما كان بينه وبينهم من مواقف تبرز صبر هذا النبي الصالح ، على أولئك القوم المعاندين المتعنتين ، مما جعل موسى عليه السلام يستغرب عليهم ، وينكر أفعالهم ، ويقوم بتوبيخهم ، وإن أولى ما يطالعنا في سورة البقرة هذا التعجب المضاف إلى موسى عليه السلام بشأن طلب قومه أن يستبدل لهم المن والسلوى بما تخرج الأرض من ثمراتها .

قال الله تعالى : { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا }.

أنعم الله تعالى على قوم موسى بالمن والسلوى ، وهما معامان نافعان للأبدان ، فلم يرضوا بهما ، ولم يشكروا الله عليهما أن جعل طعامهم يأتيهم من غير كلفة أو مشقة مع ما فيهما من المنفعة ، فقالوا لموسى { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا } ,

فتعجب موسى عليه السلام من طلبهم للأدنى دون الأعلى فقال لهم : { قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ }.

قال الطاهر بن عاشور :" من كلام موسى وقيل من كلام الله وهو توبيخ شديد لأنه جرده عن المقنعات وعن الزجر ، واقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجب فالتوبيخ" [59].

التعجب المضاف إلى الملائكة :

وهذا في قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }.

لما أعلم الله الملائكة بأنه سيجعل في الأرض قوما يخلف بعضهم بعضا ، تعجبت الملائكة وسألت سؤال استرشاد لا سؤال اعتراض : { قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء }.

قال العلامة ابن عثيمين :" واستفهام الملائكة للاستطلاع والاستعلام ، وليس للاعتراض " [60].

فالملائكة عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، فلما أخبرهم الله بأنه سيكون هناك من يفسد في الأرض تعجبوا واستنكروا ذلك [61] .

وقد كان سبب تعجب الملائكة وسؤالهم " لبيان شدة مفسدة القتل ، وهذا بحسب ظنهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك ، فنزهوا الباري عن ذلك ، وعظموه ، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة " [62]. إن كان المراد بالخليفة آدم عليه السلام ، فكيف تخشى الملائكة القتل والإفساد في الأرض ؟ أجاب الشيخ الشنقيطي فقال : " ومعلوم أن آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ليس ممن يفسد فيها ولا ممن يسفك الدماء ..، ويمكن الجواب عن هذا بأن المراد بالخليفة آدم ، وأن الله أعلم الملائكة أنه يكون من ذريته من يفعل ذلك الفساد وسفك الدماء ، فقالوا ما قالوا ، وأن المراد بخلافة آدم الخلافة الشرعية، وبخلافة ذريته أعم من ذلك ، وهو أنهم يذهب منهم قرن ويخلفه قرن آخر "[63] .

مقاصد التعجب في سورة البقرة

لقد كان في إيراد التعجب وأسلوبه في سورة البقرة فوائد كثيرة ، ومقاصد مهمة ، حفل بها التعجب في ألفاظه وسياقاته في آيات كتاب الله ، ومن تلك المقاصد :

تقرير التوحيد

وإن القرآن الكريم كله جاء تقريرا لهذا الأمر العظيم ، والمطلب الكبير الذي من أجله خلق الله الإنس والجن ، كما قال الله تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }، وقد أختصت السور المكية بإثبات ذلك ، وقد جاء في ألفاظ التعجب تقرير لهذا الأمر ، تارة بإبطال آلهة الكفار ، وأن الكفر لا ينبغي في حق الله ، وتارة بلفت الناس إلى مظاهر القدرة الإلهية وأنه المستحق للعبادة دون سواه ، وسأقتصر منها على مقصد التعجب في تقرير التوحيد بتذكير الناس إلى مظاهر القدرة ، وبديع الصنع .

1 – قال الله تعالى : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }.

أي : كيف يحصل منكم الكفر بالله ؛ الذي خلقكم من العدم وأنعم عليكم بأصناف النعم ثم يميتكم عند استكمال آجالكم ؛ ويجازيكم في القبور ؛ ثم يحييكم بعد البعث والنشور؛ ثم إليه ترجعون[64] .

وكيف يحصل منكم الكفر بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين [65]، وجاءت كيف لتدل على استفهام في معنى التعجب ، وهذا التعجب للمؤمنين ، أي : اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون ، وقد ثبتت حجة الله عليهم [66]، وإنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه [67]، وإن هؤلاء جدير بـ " أن يتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجة " [68].

2 – قال الله تعالى :{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ }

قال البغوي في معنى الآية : "هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حآج إبراهيم أي : خاصم و جادل ، وهو نمرود ، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية ؟ " .

ومعنى ألم تر : تعجيب من محاجة نمرود في الله ، وكفره به أن آتاه الله الملك [69]، والجمهور على أن في الكلام معنى التعجب [70]. وهذا استدلال مسوق لإثبات الوحدانية لله تعالى وإبطال إلهية غيره لانفراده بالإحياء والإماتة ، وانفراده بخلق العوالم المشهودة للناس [71].

الرد على الكفار واليهود والنصارى

وذلك بإبطال مزاعمهم ، وآرائهم الفاسدة في اتخاذ الولد لله تعالى ، والتعجب من مطالبهم .

1 – { وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ }

{ وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا } : القائل هم الكفار أو اليهود ، أو النصارى .

وجمع شتات هذه الأقوال الإمام ابن كثير حيث قال :

" اشتملت هذه الآية الكريمة ، والتي تليها على الرد على النصارى – عليهم لعائن الله – وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ، ممن جعل الملائكة بنات الله ، فأكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم : إن لله ولدا [72].

{ سُبْحَانَهُ } : تنزيه من اتخاذ الولد وتعجب ممن يقول ذلك [73] .

{ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } : خالقه ومالكه ، ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون [74].

التسلية والعزاء

التسلية هي : ما يسلي الإنسان من أحزانه وكمده .[75]ويراد بالتعزية : التصبر والتأسي .[76]

والتسلية والعزاء في حق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – ، لما كان يبذل في دعوته الغالي والنفيس ، فكان لا يجد في مقابلة ذلك إلا التعنت والعناد ، والتكذيب والنفور ، ولا يقف الأمر عند ذلك ، بل قد يُتهم في شخصه – صلى الله عليه وسلم – ، مما يجعله يحزن ويغتم لذلك ، وتذهب نفسه حسرات على من لم يؤمن ، فكان الله يقص عليه القصص ليعلمه أن طريق الدعوة محفوف بالمكاره والمشاق الصعاب ، وأن التكذيب قد لحق بالأنبياء

السابقين ، بدءً بما جري لنوح مع قومه وقد لبث معهم ما لبث ، ثم عاداً واستكبارهم، وثمود أصحاب الناقة ، ولوط وشعيب ، من الأنبياء الذين شاركوه الهمّ ، وقاسموه مشاق الدعوة ، وهذا من أعظم أهداف القصص القرآني الكريم .

قال الرازي مبيناً فوائد قصص الأنبياء: "أحدها التنبيه على أن إعراض الناس عن قبول هذه الدلائل والبينات ليس من خواص قوم محمد عليه الصلاة والسلام بل هذه العادة المذمومة كانت حاصلة في جميع الأمم السالفة ، والمصيبة إذا عمت خفت ، فكان ذكر قصصهم وحكاية إصرارهم على الجهل والعناد يفيد تسلية الرسول عليه السلام وتخفيف ذلك على قلبه ..."[77]

قال الله تعالى فيما أنكره عاد على قومه :

قال الألوسي : " أي قال كل قوم من أولئك الأقوام الذين كفروا في حق رسولهم الذي أتاهم بالمعجزات ، منكرين لكون الرسول من جنس البشر ، أو متعجبين من ذلك أبشر يهدوننا ، كما قالت اليهود : { فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه }[78].

نتائج البحث

أذكر فيما يلي أهم النتائج التي توصلت إليها :

1- معرفة سورة البقرة بحيث اسمها وسبب نزولها وعدد آياتها ومقاصدها وفضائلها .

2- أن القرآن الكريم جرى على أساليب العرب في كلامهم ، ومنه أسلوب التعجب ، فتقدم معرفة التعجب لغة واصطلاحا لتوضيح معنى التعجب ومفهومه.

3- من إعجاز القرآن وفصاحته أن تنوعت أساليبه ، فتارة يأتي التعجب بلفظه الصريح ، وأخرى بحروف أو أسماء وغيرها .

4- يطلق التعجب على استغراب شيء ما ، ويختلف هذا الاستغراب من أمر إلى آخر .

5- إضافة التعجب إلى الأنبياء عليهم السلام ، و الملائكة .مثلا, جاء التعجب على لسان أنبياء الله سبحانه في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، وخاصة منها في سورة البقرة.

6- أن التعجب في سورة البقرة جاء لأغراض عديدة ، منها تقرير التوحيد وإقامة الحجة على الكافرين .

7- اختلاف أنظار المفسرين على دلالة آيات التعجب وسياقاتها المختلفة .

الهوامش

1 - سورة الشعراء 26: 192-195 .

2 - البقاعي ، برهان الدين، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج2،ص6

3 - سورة البقره 2: 281

4 - البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ، ج2،ص5

5 – سورة البقره 2: 1

6 – سورة البقره 2: 7

7 – سورة البقره 2: 114

8 – سورة البقره 2: 235

9 – سورة البقره 2: 257

10 – سورة البقره 2: 219

11 سورة البقره 2: 219

12 – سورة البقره 2: 255

13 – سورة البقره 2: 11

14 – سورة البقره 2: 197

15 – سورة البقره 2: 200

16 – البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، 2/6-7

17 – البقاعي ،مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، 2/9

18 – أنس بن مالك،أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، الموطأ ،كتاب القرآن ، باب ما جاء في سورة البقرة ج1،ص205

19 – الآية : 1-5

20 – الآية : 7-6

21 –الترمذِى، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة، صحيح الترمذي ،كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي 4/232 . حديث رقم 3038 عن أبي هريرة مرفوعا وقال : حديث غريب . ومورد الظمآن في زوائد ابن حبان ص 457 حديث رقم 1727 عن سهل مرفوعا . وسنن الدارمي :كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل سورة البقرة 2/321 حديث رقم 3380 موقوفا عى ابن مسعود .

22 – الرَّاغِب الأَصْفَهَاني ، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن ، ص 547، مادة : عجب ، ط : دار القلم ، تحقيق : صفوان داودي ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ،ج3،ص40

23 –ا لهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري ، أبو منصور، تهذيب اللغة ، ط : دار إحياء التراث ، ج1، ص 274

24 – ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب، ط : دار صادر .ج1،ص185

25 –ابراهيم مصطفى وآخرون،مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط ،ج2،ص584

26 –الفراهيدي،الخَلِيل بن أحمد، كتاب العين ،ط : مكتبة الهلال ،ج1،ص235

27 –المرجع السابق ، وينظر : معجم ألفاظ القرآن ، من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،ج4،ص292

28 –الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، باب العين ، ط : دار الكتب العلمية ،ص 150

29 –الزمخشري،ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، عند قوله تعالى :{ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون } الصف : 3،ج3،ص323

30 –البغوي،أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، معالم التنزيل عند قوله تعالى : { وإن تعجب فعجب قولهم) الرعد : 5 .ج4،ص120

31 –القرطبي،محمد بن أحمد بن أبي بكر،الجامع لأحكام القرآن ج9،ص298

32 –ابن عاشور،محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج5،ص84

33 –البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، باب : الأساري في السلاسل ،ج4،ص73،رقم الحديث:3010.

34 –ابن الأثير،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ط : دار ابن الجوزي ، ص 593

35 –سورة الصافات : 12

36 –لسان العرب ، ج1،ص185 .

37 –معالم التنزيل، ج1،ص 235 ، التحرير والتنوير، ط : دار سحنون ،ج1،ص 265

38 – سورة البقره 2: 204 , و مفردات ألفاظ القرآن ، ص 547 .

39 – سورة البقره 2: 69 , و الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ج1،ص477

40 –السيوطي ،عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر ، الإتقان في علوم القرآن، ج3،ص 1006.

41 –سورة البقره 2: 44 , و الزمخشري، الكشاف، ج1،ص 149 .

42 – سورة البقره 2: 61 , و ابن عاشور ،التحرير والتنوير،ج1،ص125 .

43–أبو السعود،محمد أبو السعود أفندي بن محيي الدين ،إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبي السعود، ج7، 36 .

44 – ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج2،ص 564 .

45 –السيوطي ،الإتقان،ج3،ص 1008 .

46 –سورة البقره 2 :252 , و سورة البقره 2: 243 , و الزمخشري ،الكشاف،ج1،ص475.

47–السمين الحلبي،أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،ج1،ص108 ، وينظر : مغني اللبيب لابن هشام ،بتحقيق : د. عبد اللطيف الخطيب،ج3،ص132

48 –الإتقان في علوم القرآن ،ج1،ص 1152

49 -سورة البقره 2: 28 , و الفراء،الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله،معاني القرآن ،ج1،ص 23 .
50 -الكشاف،ج1،ص121
51 -الجامع لأحكام القرآن،ج1،ص 241 .
52 -ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر،تفسير القرآن العظيم، ج1،ص 212 ، معالم التنزيل،ج1،ص 77 .
53 - الشنقيطي،محمد الأمين بن محمد المختار،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط : دار سحنون، ج1، ص273 .
54 -ابن عطية ،أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن ، لمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1،ص 48
55-ابن أبي حاتم،أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تفسير ابن أبي حاتم،ج1، ص 18، وينظر : مفردات الراغب ، ص : 392 ، كتاب : السين .
56 -الجامع لأحكام القرآن ،ج15،ص256
57 -لسان العرب ،ج2،ص470 .
58 -سورة البقره 2: 32 , و معالم التنزيل،ج1،ص 79 .
59 -سورة البقره 2: 61 , و سورة البقره 2: 61 , و سورة البقره 2: 61 , و التحرير والتنوير، ج1،ص 523 .
60 - سورة البقرة :2: 30 , تفسير سورة الفاتحة والبقرة لابن عثيمين ، ص 74 .
61 - انظر : معالم التنزيل،ج1،ص 79، الجامع لأحكام القرأن، ج1،ص 274 .
62 -تفسير السعدي ، ص 48 .
63 -أضواء البيان ،ج1،ص21
64 -سورة الذاريات : 56 , سورة البقرة :2: 28 , و تفسير السعدي ، ص 48.
65 -معالم التنزيل، ج1،ص 77 .
66 - ابن الجوزي،أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد،زاد المسير في علم التفسير، ج1،ص 39 .
67- تفسير أبي السعود،ج1،ص 98 .
68 - الجامع لأحكام القرآن، ج1،ص 248 .
69 - سورة البقرة :2: 258, الكشاف،ج1،ص 304 .
70 - الآلوسي ، محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي ،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج2،ص 19.
71 - التحرير والتنوير، ج2، ص200 .
72 - سورة البقرة :2: 116, و تفسير ابن كثير،ج1،ص 396 .
73 - البحر المحيط، ج6،ص 85 .
74 - الكشاف، ج1،ص 180

75 – عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، ج2،ص 251، فصل السين واللام ، وينظر :كتاب العين للخليل ،ج7،ص297

76 – مفردات ألفاظ القرآن ، ص 565 كتاب : العين ، وينظر : تهذيب اللغة للأزهري، ج3، 62 ، المعجم الوسيط، ج2، 562.

77 –الرازي،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين،مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ج7، ص119

78 – سورة القمر : 24 , و روح المعاني، ج14،ص 317.